

وثنية التطبير بين النمر والعقل

التطبير في مفهومه المتعارف هو ضرب أعلى الرأس بالسيوف أو القامات وماشابه ذلك من الآلات الحادة ضربا خفيفا حتى يخرج الدم على إثر ذلك مواساة لأبي عبداﷺ الحسين عليه السلام ويمارس التطبير عادة بصورة جماعية على شكل مواكب ومسيرات تجوب الشوارع والأماكن العامة ويرى المؤيدون للتطبير أنه شعيرة من الشعائر الحسينية ويستندون على روايات منها ماجاءت في منتخب الطريحي التي تنص على أن السيدة زينب عليها السلام عندما رأت رأس أخيها الحسين عليه السلام نطحت رأسها بالمحمل الذي كان على ظهر الناقة فشق جبينها وسال منه الدم وكان بحضور المعصوم زين العابدين عليه السلام ولم ينهها عن ذلك في حين أن الشيخ عباس القمي رحمه الله تعالى يضعف هذه الرواية ويذهب إلى أن منتخب الطريحي مليء بأخبار وروايات مكذوبة وغير صحيحة وقد صرح بذلك في كتابه (منتهى الآمال) وإن نقله المجلسي في البحار فنقله استند على كتابي الطريحي (المنتخب ونور العين) ولا يخفى على أحد أن هذين الكتابين مليئان بالكذب والدس وقد أسقطهما من الاعتبار الكثير من محققي أهل الحديث ونص الرواية هي : (عن مسلم الجصاص قال : دعاني ابن زياد لاصلاح دار الامارة بالكوفة ، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة ، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت : مالي أرى الكوفة تصح ؟ قال : الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد ، فقلت : من هذا الخارجي ؟ فقال : الحسين بن علي عليهما السلام قال : فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن يذهب ، وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملا فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليها السلام وإذا بعلي بن الحسين عليهما السلام على بعير بغير وطاء ، وأوداجه تشخب دما ، وهو مع ذلك يبكي ويقول : يا أمة السوء لا سقيا لربعكم * يا أمة لم تراع جدنا فينا لو أننا ورسول الله ﷺ يجمعنا * يوم القيامة ما كنتم تقولونا تسيرونا على الأقتاب عارية * كأننا لم نشيد فيكم ديننا بني أمية ما هذا الوقوف على * تلك المصائب لا تلبون داعينا تصفقون علينا كفكم فرحا * وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا أليس جدي رسول الله ﷺ ويلكم * أهدى البرية من سبل المضلينا يا وقعة الطف قد أورثتني حزنا * والله يهتك أستار المسيئينا قال : وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز ، فصاحت بهم أم كلثوم وقالت : يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض ، قال كل ذلك والناس يكون على ما أصابهم ثم إن أم كلثوم أطلقت رأسها من المحمل ، وقالت لهم : مه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم ، وتبكيينا نساؤكم ؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله ﷻ يوم فصل القضاء فبينما هي تخاطبهن إذا بضجة قد ارتفعت ، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله ولحيته

كسواد السبح قد اتصل منها الخضاب ، ووجهه دارة قمر طالع والرمح تلعب بها يمينا وشمالا فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل ، حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومأت إليه بخرقة) .. ولا أدري حقيقة كيف غابت على الطريحي أو المجلسي نقل رواية مرسله فيها ما فيها من الدس والمفردات الخادشة من قبيل مفردة (نطحت) التي يصح إطلاقها على الحيوان لا على الإنسان الذي كرمه الله فما هو الحال إذا تم إطلاقها على عقيلة الهاشميين وبطلة كربلاء السيدة زينب عليها السلام ! أما الرواية الثانية التي يستندون عليها فهي عن صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه (لأبكينك بدل الدموع دما) وهذه الرواية غير محققة ولكن لو سلمنا جدلا بصحة هذه الرواية فهل يعني أن الإمام المهدي عليه السلام يقصد الدم الحقيقي ؟ وهل العين بإمكانها أن تدمع الدم ؟ أم هي مجرد كناية عن شدة الحزن والتأثر بمصاب أبي عبيد الله الحسين عليه السلام لا أكثر وهناك رواية أخرى يستندون عليها لا بأس بذكرها وهي تتحدث عن فرس الإمام الحسين : (إنه ضرب رأسه بعمود الخيمة حتى مات)

ولكن السؤال هنا عن إمكان إداركه وتشخيصه للموقف بغض النظر عن حصول المعجزة وهو حيوان وليس بإنسان بطبيعة الحال؟ فهذا الأمر غير واضح ولا يستند إلى دليل عقلي لأن الحيوانات في النهاية حيوانات مستجيبة في الأغلب لنوازع الشهوة والأمر هذا فضلا عن تسليمنا بحصول المعجزة للفرس مجرد أن الإمام الحسين امتطاه في المعركة وهذا مالا يقرب به مجنون فضلا عن عاقل !

تبين لنا أدلة المؤيدين للتطبير ولا شك أنها واهنة ولم ترد في كتبنا المعتبرة وقد دحضها أغلب علمائنا المحققين ولو سلمنا بأن التطبير باعتباره شعيرة من الشعائر الحسينية وهو جائز في نفسه مالم يؤد إلى الإضرار بالنفس أو الاستخفاف بالدين أو المذهب فهل يعكس مرآة ناصعة للمذهب هذا اليوم ؟ الكثير من مراجعنا العظام يرون بأن الظروف قد تغيرت في العالم ولم يعد الرأي العام يتقبل هذه الشعيرة كما كان يتقبلها في الماضي بل إن بعضهم يرى أنها قد تستخدم من قبل أعداء الدين الإسلامي أو أعداء المذهب الجعفري كسلاح دعائي ضد الإسلام والمسلمين وخاصة ضد الموالين لأهل البيت عليهم السلام ولا بأس بذكر جملة من العلماء والمراجع الذين رأوا في التطبير سبة للمذهب ومدعاة سخرية في هذا العصر فقد أفتى سماحة آية الله السيد علي الخامنئي بتحريمه مطلقا وأما المرجع الشيخ بهجت فقد رد على سؤال موجه له بخصوص التطبير قائلا : (لا يجوز أي عمل إذا كان يوهن المذهب والمقدسات) وأما الشيخ الدكتور الوائلي رحمه الله فيرى أنها خرافة وراؤها أياد أئيمة تلعب دورها وأما آية الله الشيخ

مكارم الشيرازي فيقول أن (التطبير من الأمور المخالفة للشريعة الإسلامية وأوامر الأئمة عليهم السلام ويستأنف قوله بأن التطبير وسيلة بيد الأعداء ضد الإسلام إذ عليهم اجتناب التطبير والقفل وأمثال ذلك) أما المرجع السيد محسن الحكيم قدس الله نفسه الزكية فقد قال : (إن ممارسة التطبير ليست فقط مجرد ممارسات هي ليست من الدين وليست من الأمور المستحبة بل هذه الممارسات مضرّة بالمسلمين وفي فهم الإسلام الأصيل وفي فهم أهل البيت عليهم السلام وما التطبير إلا غصة في حلقومنا) وأما الشهيد الصدر الأول قدس الله نفسه الطاهرة فقد قال في رده على الدكتور التيجاني : (إن ما تراه من ضرب الأجسام وإسالة الدماء هو من فعل عوام الناس وجهالهم ولا يفعل ذلك أي واحد من العلماء بل هم دائبون على منعه وتحريمه) وأما المرجع السيد كاظم الحائري رضوان الله تعالى عليه فقد قال : (إن تضمين الشعائر الحسينية لبعض الخرافات من أمثال التطبير يوجب وصم الإسلام والتشيع بالذات يوصمه بالخرافات خاصة هذه الأيام التي أصبح أعلام الكفر العالمي مسخرا لذلك ولهذا فممارسة أمثال هذه الخرافات باسم شعائر الحسين من أعظم المحرمات) وهناك جملة من العلماء والمراجع أمثال الشهيد الصدر الثاني والعلامة محمد جواد مغنية والعلامة السيد محمد حسين فضل الله والعلامة محمد مهدي شمس الدين وغيرهم لهم آراء مضادة للتطبير لست بوارد ذكرها لعدم الإطالة وأما بالنسبة لصوم سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني حفظه الله عن الكلام بخصوص هذه الممارسة فقد ترجع لعدة أسباب لعل أهمها : خشية سماحته من سوء العاقبة على الدين والمذهب من قبل الرعاع والدهماء والحمقى هناك الذين يرون أن التطبير أفضل من عامة الصلاة والحج والصدقة وهم الذين دأبوا على إدخال الممارسات الوثنية من قبيل المشي على الجمر وبقر البطون وشق الرؤوس وتفجير الصنابير وشق رؤوس الأطفال والرضع في انتهاك صارخ لحقوق الإسلام وحقوق الإنسان حتى أن الزائر لأبي عبد الله الحسين في أيام عاشوراء يزكم أنفه من رائحة الدماء النتنة وتشم أذنه من صيحات هؤلاء المطيرين وخاصة من الهنود والباكستانيين والإيرانيين الذين يخرجون هناك على شكل مواكب استعراضية وفلكلورية وماشابه ذلك من الأمور الوحشية التي تشمئز منها الأنفس وتقشعر لها الأجسام إلى الحد الذي وصلوا فيه بقتل الإنسان نفسه كما حصل في كربلاء هذا العام نتيجة الطعن بالسكاكين والخناجر والمدى فهم يريدون بممارساتهم اختزال ثورة الإمام الحسين في هكذا طقوس وثنية لم ينزل الله بها من سلطان فإذا كان هؤلاء بهذه الصورة الغارقة في الجهل والخرافة فماذا ستكون ردة فعلهم إزاء المرجعية هناك عندما تصدر فتوى بتحريم التطبير ؟

ومما يؤسف له أن هناك من يشرعن هذه العادة وينظر لها ولعل أبرز هؤلاء المنظرين لهذه الممارسات الوثنية الدخيلة على المذهب بعض رجالات التيار الشيرازي فهم يرون أن التطبير من أعظم الشعائر

ولا يقوم الدين إلا من خلالها وهي بمصاف الصلاة والحج والصوم وفروع الدين الأخرى بل ذهبوا إلى الحكم بمنكرها بأنه في قعر جهنم كما صرح بذلك منظرهم الأكبر الشيخ المهاجر ودجالهم الأعور معتوه لندن بل هناك من ذهب منهم إلى استحباب قتل النفس تطييرا على الإمام الحسين عليه السلام كما صرح بذلك الشيخ خضر بن شلال في كتابه أبواب الجنان حيث قال في الجزء السادس : (الذي يستفاد من مجموع النصوص ومنها الأخبار في زيارة الحسين المظلوم ولو مع الخوف على النفس يجوز اللطم والجزع على الحسين كيفما كان حتى لو علم بأنه يموت في نفس الوقت) ! فإن كان من خوارج على المذهب فهؤلاء هم خوارج العصر والمذهب فقد شوهوه وعبثوا بعقائده ومرتكزاته ولا شك أن الأمر قد استفحل من هؤلاء البرابرة الجدد ووصل إلى عواقب وخيمة تشوه المذهب وتوهنه من خلال هذه الممارسات الصنمية ولا بد من الوقوف تجاهها بصرامة وحزم لئلا يزيد غيهم وانحرافهم عن جادة الدين وتعاليم المذهب والإمام علي عليه السلام قال : وكل أمر له حد وميزان ! لما رأى الخوارج قد بغوا وتجبروا وعاثوا في الأرض فسادا ولم ينفع معهم الحوار والكلمة التي هي أحسن اضطر إلى إبادتهم في النهروان ومن هنا لا بد من التصدي لهؤلاء المطبرين بالكلمة والقلم والهجر في زماننا هذا !